هذا تهاب ديكتاتوريات بلداننا الكتب المولودة في المنفى ، وتمنعها وتحرقها ، سواء أكانت تلك الكتب « خارجية » أم داخلية ، الا أن هذا الامر ، مثله في ذلك مثل المنفى ، يتوقف علينا نحن منحه قيمته . وإن الكتاب الذي منعوه او احرقوه لنا لم يكن سوى ما قبل ـ الاخير فلنكتب آخر افضل منه .

خوليو كورتازار

* عن « الماغزين ليتيرير » العدد 151 ـ 152 (الخاص بادب امريكا اللاتينية) .
* نقل النص الى العربية قبال المعطي .

● الكاتب مثقفا / جان شيبودو

الادب شيء ، والكتاب شيء آخر ، فليس الكتاب هم الذين يصنعون الادب ، وانما التاريخ هو الذي يقوم بهذا ، وذلك بحيث يصير الادب هو الذي يصنع الكتاب . فانا عند ما أشرع في الكتابة لا املك كبير اختيار اذ يجب ان انطلق مما هو موجود ، من طرق الكتابة ووسائل النشر ، وان اتدبر امري بناء على هذا ، وفي الفترة الحالية في الغرب نجد ان الكتاب الذين يسمون بالمحدثين هم اولئك الذين يبدعون عملا اصيلا ، ليس بمعنى انه قد لا يشبه أي عمل آخر ، ولكن بمعنى ان الكاتب يبني مجموعة من القوانين او القواعد التي لا قيمة لترابطها واحكامها وحقنها المضبوطة الا بواسطة او داخل ذلك العمل .

هذا اللون من الادب ، الذي قد يكون لي مكان فيه ، هو الذي يهمني اكثر من غيره . ولكني اقتصر عليه اذ يبدو لي انه سيكون على ان ابحث عند دوما Dumas واغاتا كريستي (A. Christie) (G. de Villier) Nerval) او غيرهم . فالذي اكرهه قطعا هو الادب المتوسط . اني اظن ان هذا الادب المتوسط ليس له من هدف غير تخليد السطحية عند جمهور ضيق ، مهما كان عدده كبيرا ، لكن السطحية التي قد تكون محتملة لو ظلت اخلاقية والتي تجب محاربتها لانها فضيحة سياسية . انها تنسج التشنجات الرجعية نسجا بلا نهاية . لكن الادب « الحديث » في حد ذاته لا يتغير على فعل شيء ضدها ، ذلك لانها تتغذى من اساطير لهيئة : هولدرلين ، نرمال ، لوتريامون ، رامبو آرطو ، بيروز . كما تلتهم السير الذاتية الاسطورية لكل من بروست Proust او كافكا Kafka او جويس Toyce ، بمعنى ذلك انها ليست معزولة وليست مقصورة على اولئك الذين يتعيشون منها ، انها في الواقع في كل مكان ، في الادب وفي السياسة ، لهذا نشطت اخيرا بعض وجوه « الطليعة » في تسخين حساء « الفلاسفة الجدد » القديم ، ان هذه الطرفة المبهمة الكآبة لغنية بالعبر العظيمة ، مسكين سلين Celine ، ان صغار الروائيين وصغار الشعراء يمتصون نفس المعي الاعور الذي يمتصه الايديولوجيون المنتصرون على الطوطان. وانه لمن الممكن ان يسخن طجين البحث هذا ، او على الاصح ، ان يعاد طبخه من جديد ولمدة طويلة ، فهو يقوم على هذه الحقيقة : عندما يتم تغيير المعسكر من طرف المثقفين التقليديين فان معركة في صراع الطبقات تكون قد اكتسبت .

هؤلاء المثقفون « التقليديون » ـ الذين يشتركون في كونهم لا يدينون مباشرة بمهنهم وما لهم الى التغيرات التي تحدث في انماط علاقات الانتاج وانما الى حاجات ورغبات متجاوزة للتاريخ قليلا ـ ليس لهم كبير فضل شخصي في ان ينتقلوا هكذا من القديم الى الجديد كلما كان الجديد مكتفيا بتاسيس جديد للدولة .

غير ان الازمة آتية اليوم من كون العمال الذين يزداد عددهم اكثر فاكثر يحملون ، وبشكل واضح تقريبا ، تلك الفكرة العجيبة القائلة بانه يجب القضاء على الدولة ، فكيف يظل ممكنا في هذه الظروف ان يكون المرء مفكرا تقليديا ؟ وكيف يمكن الا يكون كذلك ؟

هذه المسالة التي ليست واحدة بالنسبة لنا وبالنسبة لزملائنا في الدول الاشتراكية تتساوى مع ذلك في كونها هنا وهناك وفي كل مكان تقريبا مسالة ضخمة جدا .

فالقديسون ، والمحامون ، ومونتو العقود ، والقادة السياسيون ، والمناضلون ، والاطر النقابية ، والفلاسفة ، والعلماء ، والمفكرون ، والصحفيون ، والاطباء ، والفنانون ، والكتاب،

والممثلون ، كل هذه المهن ، سواء كانت حرة او لا ، وسواء اعترف بها او لا ، تخلق مشكلة.

انها تخلق مشكلة لاننا لا نرى كيف يمكن ان نستغني عنها ، ونحن لا نستطيع ان نستغني عنها لاننا ننتقل دائما من الولادة الى الموت ، من هذه الناحية فان مهنة الكاتب هي التي يمسها اقل تهديد . فالكاتب ـ ذلك الذي تتلخص مهنته في كتابة كل ما يمر بذهنه ـ سيكون اول واخر المفكرين التقليديين . وهذا الامر يظل صحيحا طالما كنا نعيش في اللغة من المهد الى اللحد ، وبعد هذا ، في نفس العالم ، مستعادين ليستشهد بنا الاحياء الذين سيأتون بعدنا . فليس صدفة ان يكون الكاتب كاركاتورا ممثلا لهذا البديل ، المؤسسه الحرة ، الموظف الذي يملك اعماله كما يملك نفسه ، ذلك الذي يجري وراء المسابقات ، وراء المنح والمعاشات ، وراء مهنة من « الدرجة الثانية » ، وراء أية اجرة او تعويض عطالة .

ان خاصية الكاتب اذن هي الا يوجد في اي مكان غير اللغة ، اللغة التي هي واحدة دائما ، اللغة التي ليست واحدة ابدا ، بالنسبة للجميع ، بالنسبة لاي فرد . فاذهبوا اذن لتستردوا انفسكم فيها . الامر ليس صعبا ، يكفي ان نريده ، وذلك عندما يكون استرداد النفس داخلها يعني في نفس الوقت الخروج منها . انه امر ممكن ، بل انه مع الزمن امر لا محيد عنه. فسر الكاتب هو ما يعرفه الجميع : اللغات . وان كل من يتكلم مفكر ، ونحن جميعا نتكلم ، واذا كنا لا نقول شيئا فان هناك آخرين ، كما نعرف جيدا ، يقومون بهذا من اجلنا ، اي يتكلمون من اجلنا. وانه وجود للاطفال البلهاء، انه لا يوجد الا الجرائم. ولا احد مجرم او مجنون على انفراد صدقوا هذا .

ولكن اين نحن ؟ والى اي شيء سنصل من هذا ؟ اليس السؤال جوابا ؟ هل نملك اسئلة لها حلول ؟ داخل هذا التاريخ الذي ليس مخاطرا ابدا في تقدماته اللامتكافئة ولا في تخلفاته اللامتساوية ، داخل هذا التاريخ . ليس من باب الصدفة مطلقا ان اكتب . فانا لا اكتب لكي لا اقول أي شيء ، انني اكتب لاستمر . هل للاستمرار معنى ؟ اجل ، انه لا معنى الا للاستمرار . اذن فلنستمر .

ابله العائلة لم يكن على خطا ، لقد كان على صواب حين قرر ان يصمت ، ولكن هل قرأ سارتر فلوبير ؟

الكاتب ليس هو الفيلسوف . الكاتب ليست لديه حقيقة عامة . انه دائما على خطا حين يكون على صواب (هكذا افهمه ...) ، فهو في كل كلمة ، في كل حرف ، بين السطور ، في كل هذا لا يخطىء ، وبشكل يجهله ، ولكنه لا يخدع اي شخص يقرأه .

ان الكلمة هي عكازة تاريخ الرجال والنساء على حد سواء ، وما عداها سرير . فانا في كل كلمة ، في كل حرف ، بين الحروف والكلمات ، في كل جملة ، في كل هذا وتلك ، كما انام اهيء سريري ، اي انا امرؤ اتحمل عواقب اعمالي . انني لا احب الادب « الحديث » ، ولكني منه . ولا احب الاخوين غونكور ما عدا بعض الاستثناءات . احب دائما الروايات التي تصلح للنوم في الخارج ، الروايات البوليسية (الخ ...) والتي تسمى كذلك من باب قلب المعنى . احب كل الكتب التي تصلح للنوم في الخارج ، في القطارات ، في اي مكان .

هذا الجزء الصغير من الادب الحديث الذي اوجد داخله ، اذا كنت في مكان ما ، لا اهمية له . انه لا شيء . واذا كان شيئا فهو ثقب ، ذلك الثقب الصغير الذي يصلح للخروج منه ، من كل اللحظات المبالغ فيها . كيف ؟ هكذا : لست على ثقة من نفسي ، وها هي الفرصة ، ما دمت لا اتألم من ذلك ، بل على العكس اخرج .

ما هو الادب ؟ بعبارة اخرى : ما السبيل الى الخروج من العالم القديم بواسطة وسائل الادب ؟ ليس السؤال خاليا من المعنى . فاذا كان صحيحا ان الادب لا يعيش الا من ذاكرة الآخرين فانه سيكون آخر البقايا ، جمجمة كل انواع ما قبل تاريخنا .

ان الطريقة الاكثر حداثة في كتابة الادب (الرواية ، الشعر ، اي شيء في الكتب ، في الصحافة اي الوسائل السمعية البصرية ، في الاستجوابات وفي المراسلات) هذه الطريقة اذا ما اخذت كما هي تكون الطريقة التي يجب عليك انت بصفة خاصة ان تتصرف بمقتضاها وحدك، دائما وحدك ، وهي تكفي لتجعلك تتمتز من كل التجمعات الحرفية ، من كل البلاغات المنبرية ، من كل الشركات ، كبيرة كانت او صغيرة ، تجارية كانت او ايديولوجية ، هذه الطريقة لا

تسمح لك بالبحث عن اي امتياز .

لم يعد من الممكن لنا ان نتعلم الكتابة والقراءة في القمع ، لم يبق لنا الا البحث عنها نحت . فالاداة التربوية والثقافية الضخمة التي اكتسبت بفضل القوى المنتجة وصراع الطبقات لن يكون لها من وجود فعلي الا اذا استعملت عن قرب من طرفنا جميعا . ذلك . من غير ان ننسى السجون والثكنات ، والمعامل والمستشفيات ، العقلية منها خاصة ، من غير ان ننسى اي شيء .

لا بد من كلمة اخرى لنقول انه لا يوجد ما هو اجمل من الرسم والنحت المعاصرين وانه لا بد من اعادة النظر في تسرب اقنعة السود ورسوم الاطفال (الخ ...) الى الفن الغربي . يجب ان نعرف كذلك ان كتابنا الكبار ـ الذين ليسوا جددا تماما ، ولكنهم اكثر عددا بشكل لم يتوفر في اية فترة سابقة ـ لم يموتوا من أجل لا شيء .

ما زال علي ان اقول كل شيء ، ولكن كيف ؟

ان «حقوق المؤلفين» مسرح متطرف «لحقوق الفرد» . ان الادب ما دام انتصارا لايديولوجيا البورجوازية (تحققا كاملا للفردانية) فهو منفذ لوصيتها ، منفذ محدد لذلك الغرض بالضبط ، ان الادب قد يكون خلال الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية نظير الدين (ماركس : المسالة اليهودية) خلال الانتقال من النظام القديم الى النظام البورجوازي . غير ان هذا أمر لا يمكن تصوره الا اذا قامت الاحزاب الجماهيرية الكبرى بالاستحواذ على الشعارات الديمقراطية التي نخلت عنها البورجوازية ، الخ ...

اني مستعد للاجابة على كل الاسئلة لولا وجود الشرطة . اني مستعد لان اصير شرطيا لو لم اكن الآن واحدا منهم (شرطيا) ، لو كنت انا هو ذلك الذي يوجد في الواجهة وغيره في نفس الوقت .

بالطبع ، لمزيد من الوضوح ، احيلكم على غرامشي الذي لا اشكل هنا الا مترجما له بصفة موقتة ، مترجما مستعجلا جدا وغير مؤهل .

تعريب : الميلودي شغموم

● بيـان / تصور حول ظاهرة التنسيق الثقافي

يعرف اسلوب الغزو الاستعماري اليوم تطورا رهيبا تبعا لتطور الفكرة والمؤسسات الاستعمارية ـ واتساع مجالات تدخلهـا .

والظاهرة التي شهدتها مراكش من 22 الى 29 نونبر 79 ذات دلالة خطيرة في تاكيد الاسلوب الجديد وتحديد طبيعته .

ففي الفترة بين التاريخين المذكورين اعلاه ـ نظم نادي البحر المتوسط اسبوعا ثقافيا تحت شعار « الفنون المغربية المعاصرة » شمل بالاضافة الى الانشطة داخل النادي المتواجد في ساحة جامع الفناء ـ قلب مدينة مراكش النابض بمختلف الممارسات الشعبية ـ الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ الفنية ... متحديا المشاعر الوطنية والروحية ومنتصبا شهادة غزو مركز حتى لاخص الخصوصيات ـ انشطة خارجية في مواقع عمومية هامة على خريطة المدينة . وبذلك تدخل تجربة النادي مرحلة جديدة ـ مرحلة « الانفتاح على الخارج » في موقع خاص ولاهداف خاصة .

ان تواجد مؤسسات كنادي البحر المتوسط بالقرب من الاماكن المقدسة التي يمارس داخلها المسلمون شعائرهم الدينية والروحية « جامع الكتبيين » وما يدور داخل نادي البحر الابيض من خلاعة واستهتار وما يمارس من طقوس لتستهدف قيمنا وطموحاتنا الوطنية التحررية المستقبلية . وفي هذا الصدد نتساءل عن مصير ما كان قد اثاره المجلس البلدي وبعض الصحف الوطنية في شان تواجد النادي ومشروعيتـه .

هذه العوامل تفرض علينا اكثر من اي وقت مضى طرح ظاهرة النادي في حد ذاته وطرح الظاهرة الجديدة التي عاشتها مراكش مؤخرا والتي تمثل تحديا (من داخل النادي الى خارجه) حيث نرى ان هذا المخطط الجهنمي يندرج ضمن مسلسل ـ تسييح الثقافة الذي له الشركات المتعددة الجنسيات . ويتجلى ذلك في الحدث الذي بدات تشهده بلادنا منذ سنوات قليلة